كلية الآداب و اللغات

جامعة الإخوة منتوري . قسنطينة .

الندوة العلمية : الأدب الإسلامي بين التنظير و الإبداع .

عنوان المداخلة : القيم الإسلامية في تجربتي القصصية للطفل

Islamic values in child's storytelling experience

الأستاذة: لطيفة عثماني

ملخص:

تملك قصة الطفل مكانة الصدارة من حيث شغف الطفل بها و إقباله عليها بنهم و فرح كبيرين، فهي مصدر السعادة الرئيسي للطفل، و بدونها يفرغ أدب الأطفال من مضمونه الحيوي الهام، كما هي المدخل الرئيسي، المشبع، القادر على مخاطبة الطفل عاطفة و فكرا، و تقويمه لسانا و تصورا لعلاقته بالأشياء وبالناس، منذ قدرته على الإدراك و الفهم، و حتى تبدأ رحلة الاستقلال الفكري، فالكتابة القصصية للطفل مسؤولية؛ وهي ليست بالأمر السهل أو الهين كما يتوهمه البعض، و لا هي نافلة عمل ينبري لها بعض الكتاب دونما تحضير مسبق و استعداد معرفيّ لا بدّ منه. فكاتب أدب الطفل و كاتب قصة الطفل على وجه الخصوص يجب أن تتوفر لديه مجموعة عوامل تضعه على الطريق الصحيح، حتى يحقق النتائج الجليلة المرجوة منه. و إنّ من أهم هذه العوامل، أن يكون الكاتب مُلمّا بمراحل نمو الطفل المختلفة؛ من نمو عقلي ولغوي و حركي و نفسي واجتماعي.. و خصوصيات كل مرحلة وحاجاتها، كما أن الأخذ بأطراف علم نفس الطفولة و ما تتضمنه من رسائل نفسية و تربوية، من شأنها أن ترسم له معالم مفيدة.

و ثمة- في تصوري- صفتان تشكلان بوضوح شخصية كاتب الطفل الناجح، و هما صفتا: المربي/ المبدع؛ و التي إن توفرت لدى كاتب قصة الطفل، تمكن من تحقيق هدفه، فأودع بداخل الطفل و غرس في قلبه و وجدانه

المعاني التربوية التي يرمي إليها، سواء تعلق الأمر بالعقيدة أو الأخلاق أو السلوك أو الفنّ و غيرها، ذلك أنّ عناصر الإبداع من إدهاش و إمتاع و تشويق، و حبكة قصصية محكمة، مناسبة للفئة العمرية المتوجه إليها، كل ذلك حاضر بقوة عبر أحداث القصة.

بناء على ما سبق، جاء موضوع هذا البحث الذي يتحدث عن القيم التربوية من خلال تجربتي القصصية للطفل، كون أن كاتب الطفل هو مربي بالدرجة الأولى، و أن الاعتبارات التربوية لا يجب النظر إليها على أنها عوامل معوقة تحدّ من انطلاق الكاتب، بل إنّ العمل بها يمثل القاعدة الأساسية التي لا غنى عنها لتشييد صرح أدب أطفال ناجح و سليم.

كلمات مفتاحية

القيم التربوية – شروط الكتابة للطفل- الكاتب المربي/ المبدع- تجربتي القصصية

Abstract:

The child's story is a prominent factor in instilling passion in the child who engages in the story full of eagerness and joy. It is the main source of happiness for the child, and without it, children's literature loses its vital content. It is the main, enriching gateway capable of addressing the child emotionally and intellectually, shaping their language and perception of their relationships with things and people, from their ability to perceive and understand, to the beginning of their intellectual independence journey.Children's storytelling is a responsibility; it is not as easy or simple as some may think, nor is it a casual task that some writers undertake without prior preparation and necessary knowledge.The writer of children's literature, especially the writer of children's stories, must have a set of factors that guide them on the right path to achieve the desired significant results. One of the most important of these factors is for the writer to be familiar with the different stages of a child's development: cognitive, linguistic, motor, psychological, and social development, as well as the characteristics and needs of each stage. Further, the consideration of child psychology which entails a myriad of psychological and educational messages can yield useful guidance.

In my view, two qualities form the successful children's writer: the educator/creator.If a writer of children's stories possesses these qualities, they can achieve their goal by instilling

educational values in the child, embedding them in their heart and conscience, whether related to beliefs, ethics, behavior, art, or other aspects. This could be achieved through creative elements such as surprise, delight, suspense, and a well-crafted plot suitable for the target age group that are all strongly present through the events of the story.

Based on the above, the topic of this research aims to discuss the educational values through my storytelling experience for children, as the child's writer is considered primarily as an educator.Further, the educational considerations should not be seen as hindering factors limiting the writer's creativity, but rather a requisite essential for constructing a successful and healthy children's literature.

Keywords Educational values - Writing conditions for the child - The Educator/ Creative Writer - My Storytelling Experience

تمثل قصة الطفل مكانة الصدارة من حيث شغف الطفل بها و إقباله عليها بنهم و فرح كبيرين، ف(القصة هي مصدر السعادة الرئيسي للطفل، و بدونها يفرغ أدب الأطفال من مضمونه الحيوي الهام)(1)، كما هي المدخل الرئيسي، المشبع، القادر على مخاطبة الطفل عاطفة و فكرا، و تقويمه لسانا و تصورا لعلاقته بالأشياء وبالناس، منذ قدرته على الإدراك و الفهم، و حتى تبدأ رحلة الاستقلال الفكري..(2)، فالكتابة القصصية للطفل مسؤولية؛ وهي ليست بالأمر السهل أو الهين كما يتوهمه البعض، و لا هي نافلة عمل ينبري لها بعض الكتاب دونما تحضير مسبق و استعداد معرفيّ لا بدّ منه. فكاتب أدب الطفل و كاتب قصة الطفل على وجه الخصوص يجب أن تتوفر لديه مجموعة عوامل تساعده في عمله الإبداعي و تضعه على الطريق الصحيح، حتى يحقق النتائج الجليلة المرجوة منه كذا تأليف و لا شك أنّ من أهم هذه العوامل، أن يكون الكاتب مُلمّا بمراحل نمو الطفل المختلفة؛ من نمو عقلي ولغوي و حركي و نفسي واجتماعي.. و خصوصيات كل مرحلة وحاجاتها، كما أن الأخذ بأطراف علم نفس الطفولة و ما تتضمنه من رسائل نفسية و تربوية، من شأنها أن ترسم له معالم مفيدة.

و ثمة- في تصوري- صفتان تشكلان بوضوح شخصية كاتب الطفل الناجح، و هما صفتا: المربي/ المبدع؛ و التي إن توفرت لدى كاتب قصة الطفل، إلاّ و تمكن من تحقيق هدفه، فأودع بداخل الطفل و غرس في قلبه و وجدانه المعاني التربوية التي يرمي إليها، سواء تعلق الأمر بالعقيدة أو الأخلاق أو السلوك أو الفنّ و غيرها..، ذلك أنّ عناصر الإبداع من إدهاش و إمتاع و تشويق، و حبكة قصصية محكمة، مناسبة للفئة العمرية المتوجه إليها، كل ذلك حاضر بقوة عبر أحداث قصة الطفل، دون أن نهمل بالتأكيد، دور الرسوم و الصور الموحية المرافقة لأحداث القصة من شخصيات معبرة و ألوان جذابة و بديعة..

القيم التربوية في تجربتي القصصية للطفل

مما لا شك فيه أنّ القيم التربوية من الأهداف التي من المهم مراعاتها في الكتابة للطفل، ذلك (أنّ أول ما يجب أن يدخل في الاعتبار..أنّ كاتب الطفل هو مربي بالدرجة الأولى..و من المهم ألا ننظر إلى الاعتبارات التربوية على أنها عوامل معوقة تحدّ من انطلاق الكاتب، لأن العمل بها يمثل القاعدة الأساسية التي لا غنى عنها لتشييد صرح أدب أطفال ناجح و سليم..)(3).

و لقد توزعت كتابتي للطفل، لتشمل تقريبا كل المراحل العمرية التي يمر بها الطفل، و التي تتوزع على العموم إلى مرحلة الطفولة المبكرة، من 2 إلى6/5 عام، و مرحلة الطفولة المتوسطة؛ من 6 إلى10/9عام، و مرحلة الطفولة المتأخرة؛ من 10 إلى13عام فما فوق..*

مغامرات "بم بم" أو قصص المرحلة المبكرة (من 2 إلى 6/5عام)

إن أهم ما يميز هذه المرحلة؛ عالم الطفل المحدود الذي يقوم على الإدراك الحسيّ و التعرف المباشر على الأشياء و الأشخاص ممن يتعامل معهم كالوالدين و الأقارب و أطفال الجيران و بائع الحلوى و بائع اللعب،إلخ..فضلا عن لعبه ذاتها و ثيابه و الحيوانات التي يشاهدها عن قرب و يألفها، و الطفل في هذه المرحلة لا يستطيع إدراك المعاني المجردة كالكرم أو الحرية مثلا، وتكون حدّة الخيال تعويضا أو تكميلا لمحدودية المعرفة؛ حيث يستطيع الطفل أن ير في العصا حصانا يركبه، كما قد ينسج الطفل أخبارا يختلقها و يدلي بأحداث لم تقع..(4)، و في هذه السنوات الأولى، يكون النمو اللغوي في مرحلة التبرعم، و يمكن في هذه المرحلة التحدث عن شكل أدبي يُعرض على الطفل شفويا؛ حيث يتلقاه منطوقا من الكبار.(5)

بناء على ما سبق، ألفت لهذه الفئة العمرية سلسلة قصصية بعنوان" مغامرات بم بم"، شخصيتها الرئيسية الدبّ الأبيضّ بم بم"، إضافة إلى عدد محدود من الشخصيات الثانوية المتمثلة في أمّه و أبيه و أخويه "بمبوم و بمبومة"، و كذا بعض الشخصيات المرتبطة بحياته اليومية مثل البقال و الخباز و طبيب الأسنان.. و صدرت بعض العناوين من هذه السلسلة مثل: أنا صديقكم بم بم، منزل بم بم، أصدقاء بم بم، بم بم في السوق..إلخ. وما يميّز هذه السلسلة، الجمل البسيطة؛ خمس إلى ستة جمل في القصة الواحدة، في كل صفحة جملة واحدة، بخط واصح و كبير و رسم مكبر و موضح لأحداث القصة، لأن عالم الطفل و لغته محدودان في هذه المرحلة.

قصص المرحلة الثانية: (من6 إلى10/9 عام)

في هذه المرحلة يدخل الطفل طور التعليم الابتدائي، و يشرع في تعلم القراءة و الكتابة و يتسع محيطه الأسري أنّ الطفل يبدأ يدرك المجردات و من ثم ليضمّ عالم المدرسة و كل ما يتصل به، و إنّ أهم ما يميز هذه المرحلة اعتناق القيم و إعلان التمسك بها، فيعرف الصدق، و الأمانة، و العدل، و التعاون، والشجاعة،..إلخ، كما أنّ الطفل يجنح –في هذه المرحلة– إلى بيئة الخيال الحر المنطلق، و يبدي شغفا كبيرا بقصص الحيوانات، و بالشخصيات الغريبة التي تتضمنها قصص الخيال من عمالقة و أقزام و جنيات، و جمادات تتكلم..الخ (6)

و لعل هذه المرحلة العمرية حضيت بحصة الأسد في كتابتي القصصية للطفل، حيث تتعدى الثلاثين عنوانا بين قصص تمت طباعتها و أخرى لم تطبع بعد.

و من العناوين التي اخترتها للدراسة، قصة "**المحفظةُ الخضراءُ**" التي يعالج موضوعها قضية حساسة تتعلق بالمخاوف التي تنتاب الطفل حين يغادر لأول مرة حضن الأسرة الآمن ليلتحق بالروضة أو المدرسة و السلوكيات المترتبة عن ذلك من بكاء الطفل و محاولته الهروب و الاختفاء خوفا من هذا العالم الجديد و(الرهيب) الذي ينتظره..فشخصيات القصة الرئيسيتان هما آسية الصغيرة، و المحفظة الخضراء التي لا تريد مغادرة دكان العمّ كمال أين صديقاتها المحفظات ..لكن ذات يوم، تأت سيدة و تشتري لابنتها آسية المحفظة الخضراء، فتقول آسيا باكية:-" لا أريد هذه المحفظة، و لا أريد الذهاب إلى المدرسة.."(7) ، فتفزع المحفظة الخضراء و يزداد حزنها لفراق دكان العمّ كمال، لكن في الليل تسمع المحفظة الخضراء البنت الصغيرة و هي تبكي، فتقفز إلى سريرها و يدور بينهما حوار تكتشف الاثنتان أنّ كلتيهما خائفتان من التغيير و المجهول الذي في انتظارهما؛ فتنشأ علاقة ألفة بينهما تبدّد مخاوف البنت الصغيرة و محفظتها، وتنتهي القصة بهذا الشكل(لما حان وقت الذهاب إلى المدرسة، لم تكن آسية حزينة، و لم تكن المحفظة الخضراء حزينة، لأنهما أصبحتا صديقتين، فذهبتا إلى المدرسة سعيدتين)(8)

النموذج الثاني بعنوان:**الأقلامُ ترقصُ**"، التي تعالج صفة الأثرة و الأنانية و كذا الغضب وما ينتج عن هذه الصفات البغيضة من آثار سلبية، و تدعو بالمقابل تقبل الآخر و احترامه لأن لكل قيمته و دوره و أهميته في الحياة..

تدور أحداث القصة ليلا في غرفة مصطفى الصغير الذي يرسم طبق فواكه كبير قبل أن يخلد إلى النوم.. و في الليل، يحدث أمر عجيب حيث تخرج الأقلام الملونة من علبتها الكبيرة و تنظر إلى رسم مصطفى فيفتخر كل قلم أنه أجمل لون و أن فاكهته هي الأبهى، فيقفز القلم الأحمر الغضوب ليشوّه التمر "البني" والموز "الأصفر" و التين "الأخضر" و البرتقال،في رسم مصطفى الصغير، فتنتقم الأقلام الملونّة و تشوه الفرولة الحمراء بكل حنق قبل أن تدرك شناعة صنيعها عندما تسمع القلم الأحمر يبكي على تشوه فاكهته و ترى طبق مصطفى الجميل و قد تحول إلى رسم قبيح غابت معالمه و تداخلت ألوانه.. فتندم الأقلامُ و تبحث عن طريقة لإصلاح ما أفسدته، فيقترح عليها القلم الأزرق أن تتعاون و تعيد رسم ما أفسدته قبل أن يستيقظ مصطفى الصغير..ترحب الأقلام بالفكرة وتعيد رسم طبق فاكهة جميل..و تنتهي القصة بهذا الشكل:

" لما انتهت الأقلام الملونة من عملها، أدركت أن كلّ لون له دوره و قيمته و جماله، و أنّها مجتمعةً، تشكل أشياء جميلة و بديعة.

فرحت الأقلام الملونة بما اكتشفته..فأخذت ترقص سعيدة..و بقيت ترقص و ترقص إلى أن طلع النهار و بزغت الشمس مُشرقة، فعادت بسرعة إلى علبتها الكبيرة، علبة الأقلام الملونةِ."(9)

القصة الموالية، بعنوان "**الماءُ الصامت**"، تحكي قصة أرنب أبيض صغير نشأت بينه و بين نهر الغابة علاقة صداقة كبيرة، حيث تقول القصة:(في غابةٍ شاسِعةٍ مُترامِيَةِ الأطرافِ، تقعُ في بِلادٍ بَعيدةٍ جِدّاً قُربَ المحيطِ الشَماليِّ المتَجمِّدِ، كانتْ تَعيشُ حيواناتٌ كثيرةٌ ومتنوّعَةٌ.

كانَ الأرنَبُ الأبيضُ الصَّغيرُ منْ ألطَفِ حَيواناتِ تِلكَ الغابَةِ ، ولهُ أصدِقاءٌ كثيرون. و كانَ ماءُ النَّهرِ الكبيرِ أفْضَلَ أصدقائِه؛ يَقضِي الأرنَبُ الصَّغيرُ رُفقَتَهُ أوْقاتًا طويلةً و مُمْتِعةً، لأنَّ ماءَ النَّهرِ يعرفُ حكاياتٍ كثيرَةً، الْتقَطَها من الأماكِنِ البعيدةِ التي يمرُّ بها خلالَ جَريانِه السَّريعِ، الّذي لا يعرف سُكوناً ولا انْقِطاعاً.)(10)

لكن، عند حلول فصل البرد و تساقط الثلج يذهب الأرنب إلى النهر فيجده قد اختفى و يظنّ أن صديقه غادر دون أن يخبره، فتشرح له أمه أنّ ماء النهر تجمد لانخفاض درجة الحرارة في تلك المنطقة الباردة، فلا يصدقها و يظلّ يبكي إلى أن يقبل دبّ سمين و يمشي على طبقة غير سميكة من سطح النهر المتجمّد، فتتشقق و تنكسر فيسقط الدبّ في الماء البارد ..وما أن يخرج من الماء و يبتعد و هو يئن فزعا، حتى تقترب الأم مع الأرنب الأبيض الصغير من الماء الذي ظهر، فيكتشف أن صديقه النهر لم يغادره، و يقول له مبتسما:

(«مَرْحبًا يا صَديقِي الصَّغير، أنا أُحِبُّكَ و لمْ أتَخَلَّ عَنْكَ.لكِنَّني أتَحَوَّلُ إلىَ جَليدٍ في فَصْلِ الشِّتاءِ، لا تنْسى أنَّ القُطْبَ المتجَمِدَّ الشمالِيَّ قَريبٌ منْ غابَتِنا. عَلَيْكَ أنْ تَصْبِرَ حتىَّ أظْهَرَ منْ جَديدٍ ».

ودَّعَ الأَرْنَبُ الصَّغيرُ صَديقَهُ ماءَ النَّهرِ، وعادَ فَرِحاً إلى مَأْواهِ الآمِنِ، واعِدًا نَفْسَهُ أنَّهُ سيَصْبِرُ حتىَّ تَعودَ الأيَّامُ الدّافِئةُ، فَيذُوبَ الجليدُ، ويَظْهرُ صَديقُهُ ماءُ النَّهرِ فَيُمتِّعَهُ بِأحْلَى الحِكاياتِ!)(11)

تبرز في هذه القصة قيمة علمية تتمثل في ظاهرة تجمد الماء و في اللون الأبيض للأرنب لعيشه قريبا من القطب الشمالي، و قيمة فنية تتجلى في الرسوم الموحية البديعة المرافقة للقصة.

العنوان الرابع محل الدراسة هو قصة "**السحابة الرحيمة**" غمامة، التي حاولت من خلالها نشر قيم الإحساس بالآخر و القضاء على قسوة القلب و الأنانية و بث روح التراحم و التعاون عند الطفل، إضافة إلى قيمة دينية تبرز قبل بداية القصة أذكر فيها للطفل، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يلقب ب"صاحب الغمامة "و سبب ظفره عليه الصلاة و السلام بهذا اللقب الشريف..

تدور أحداث القصة ليلا في فصل الشتاء، حيث تتفق السحب على إجراء سباق جري في السماء، لكن ما إن تنطلق حتى تسمع غمامة بكاء طفل ينبعث من الغابة المظلمة التي تتسابق السحب في سمائها، فتتوقف عن الجري و تحاول إقناع صديقاتها بمساعدة الطفل الذي يبدو أنه تاه في الغابة، فتأبى السحابة "مزنة "الإصغاء إليها بل تتهكم منها و تقنع السحب بمواصلة اللعب و عدم الاكتراث لحال الطفل(لكِنَّ قَلْبَ غَمامَةَ لَمْ يُطاوِعْهَا أنْ تَلعَبَ و الصَّبِيُّ الضَّائِعُ بِحاجَةٍ إلى إعانَةٍ. لِذلِكَ فكرَّتْ فِي طَرِيقةٍ لِمُساعَدَتِهِ، و اهْتَدَتْ أخيرًا إلى فِكْرَةٍ. فاتَّجَهَتْ مُسْرِعَةً إلى القمَرِ **بَدْرَ** و قالتْ لهُ بَعْدَ أنْ حَيَّتْهُ:

"يا عَمُّ بَدرُ سَاعِدْني، عَلَيْكَ أنْ تُضيءَ الغابَة كيْ يَزولَ خَوْفُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ التَائِهِ."ردَّ العَمُّ بّدْرُ مُبْتَسِمًا:

"بِكُلِّ سُرُورٍ يَا غمَامَةُ اللَّطِيفةُ، لكِنَّ السَّحابَةَ الضَّخْمَةَ رَاوِيَةَ تَعْتَرِضُني و هِيَ جِدُّ كَسُولةٍ، ويَصْعُبُ زَحْزَحَتَها مِنْ مَكانِها."قالتْ غمَامَةُ:

"سَأحَاوِلُ إِقْنَاعَهَا بالإِنْزِيَاحِ قلِيلاً."

"أعَانَكِ اللَّهُ يا غمَامَةُ." دَعا لَها العَمُّ بَدْرُ.

لَكِنَّ راوِيةَ رَفَضَتْ أنْ تَتَحرَكْ رَغْمَ تَوَسُّلاَتِ غَمامَةَ:

"يا خَالةُ راوِيَةُ، ألا تَرْحَمِي هَذا الطِّفْلَ المِسْكينَ الَّذي يَكادُ يَموتُخَوفًا، و هُوَ وَحِيدٌ فِي الغَابَةِ المظْلِمَةِ؟"

" لا، لنْ أرْحَمَهُ أبَدًا، فأنا أحِّبُ النَّوْمَ و الرَّاحَةَ و أنْتِ وصَديقاتُكِ لَمْ تَدَعْنَني أهْنَأُ يَوْمًا بِنَوْمي. و انْتِقامًا مِنْكُنَّ جَمِيعًا، سَأبْقى هُنَا و لنْ أبْرَحَ مَكانِي حتىَّ تَبْزُغَ الشَّمْسُ و يَطْلعَ النَّهارُ!"

حِينَها، وَصَل إلى مَسامِعِ الجمِيعِ عَويلُ الطِّفْلِ المذْعُورِ؛ فغَلَسُ اللَّيْلِ ازْدادَ كَثافةً، بَعْدَ أنْ غطَّتْ راوِيَةُ القمَرَ بَدْر كلِّيًا و لَمْ تَدَعْ لهُ فُرْصَةً كَيْ يُضيءَ الغابَة!فقالتْ غَمَامَةُ بَاكِيَةً:

"أرْجوكِ يا خالةُ رَاوِيةُ، سَيَموتُ الصَّبِيُّ مِنْ شِدَّةِ الخوْفِ و كَثْرَةِ البُكاءِ."رَدَّتْ رَاوِيَةُ بِقَسْوَةٍ كبِيرَةٍ:

" فليَمُتْ، هذا لا يَهُمُّنِي!"

أدْرَكتْ غَمَامَةُ أنَّها لنْ تُقْنِعَ السَّحابَةَ الضَّخْمَةَ رَاوِيَةَ. فَانْفطرَ قَلْبُها شَفقَةً عَلى الطِّفْلِ الصَّغيرِ التَّائِهِ في الغابَةِ، و أَخَذتْ دُموعُها تَنْسَكِبُ قطراتِ مَطرٍ خَفيفٍ و هِيَ تَدْعُو اللَّهَ أنْ يُغيثَ المِسْكينَ.)(12) و يسمع الأمير ضياء ابن ملك النجوم بكاء غمامة فيقترب منها و يسألها عن سبب حزنها، و بعد أن تشرح له ما يجري، يستدعي

الأمير صديقه الريح "سريع" الذي يبتعد براوية و يبدد سحابتها، فتستضاء الغابة و يهدأ روع الطفل الذي يتوقف عن البكاء. و يطلب الأمير ضياء السحابة غمامة للزواج لما لمس فيها من جمال الروح، و يسدل الستار على القصة بأن ي(..تَزَوَّجَ الأميرُ **ضِياءُ** بغمامَةَ الرَّحيمةِ في عُرْسٍ بَهيجٍ حَضَرَتْهُ جَميعُ كَواكِبِ السَّماءِ، ما عدا راوِيةُ القاسِية القلبِ و مُزْنَة الأنانِيَة.)(13)

قصص المرحلة الثالثة(من10إلى13عام، فما فوق..)

في هذه المرحلة يبتعد الطفل عن الأمور الخيالية إلى حد ما و يعنى بالحقيقة الواقعة، فهي مرحلة طور المغامرة و البطولة و بحث الطفل عن النموذج البطل ليتوحّد معه وجدانيا،كما هي مرحلة البحث عن المثال و القيم النبيلة و البطولة الساعية إلى أهداف كبيرة(14)

و من مؤلفاتي في هذه المرحلة العمرية سلسلة " أوصاني رسولي" و هي سلسلة تربوية أخلاقية تهدف إلى تهذيب التصرفات و الارتقاء بأحاسيس و ذوق الأطفال..و قد انطلقت فيها من واقع الطفل الجزائري لصياغة قصص تعالج انحرافات سلوكية متفشية، مثل ظاهرة فحش الكلام التي اكتسحت الحياة الجزائرية لتخلي المجتمع عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

فألفت قصة " الشفاه الملتصقة"، التي تدور أحداثها في مدينة الصخرة التي كانت تعرف نشاطا تجاريا مزدهرا لتردّد الكثير من السوّاح عليها للتمتّع بمناظرها الجميلة و عبور جسورها الشاهقة، لكن تفشي الثرّاء صرف همّ السكان إلى تكديس الأموال(حتى صار العلم مهجورا عندهم، و أضحى الخلق القويم عملة ناذرة بينهم..و استولى الطمع و الجشع على القلوب..فتفشت الكراهية و الخصومات، و انتشر الشتم و السّب و الكلام المنحّط.)(15)

و كان مروان أعتا الفتيان في خبث اللسان، و يستمر الوضع على حاله، إلى أن يقدم شيخ كبير ذات يوم ليسكن بحيّ الطائش مروان ؛ فلا يدعه الفتى و عصبته من الأشرار لحاله، خاصة أن الشيخ من الصالحين يتكبد عناء الخروج كل يوم إلى الأماكن العامة ليدعو أهالي مدينة الصخرة للتخلي عن بذاءة اللسان، لكنه كان يجد في كل مرة مروان و صحبه له بالمرصاد؛ يشبعونه شتما هو و الحضور..و(صبر الشيخ الغريب على طيش مروان طويلا، لكنّه أدرك أنّ هذا لا يجدي نفعا، لذلك قال له ذات يوم بعد أن تفوّه الفتى .. بكلام يفوح خبثا:

-يا بنيّ، دعوتك مرارا أن تحفظ لسانك..لكن دون نتيجة، و هذه آخر مرّة أدعوك و صحبك إلى التخلّي عن الكلام الفاحش..نظفوا ألسنتكم يا أولاد، و إلاّ حلّ بكم مالا يحمدُ عقباه.)(16)

لكن ، و بعد أن يتمادي مروان و صحبه في غيّهم،(لم تمض إلاّ فترة وجيزة .. حتى حصل أمر عجيب في مدينة الصخرة. لقد أصّيب كلّ صاحب لسان بذيء بمرض غريب، إذ تشنجت شفتاه تشنّجا رهيبا، و تشققّت تشققات فظيعة، بحيث أضحت تبدو لكل من رآها و كأنّها شفاه مخيطة، و انتشرت الظاهرة العجيبة في كل أرجاء المدينة، و لم ينج منها إلا القليلون ممّن صانوا ألسنتهم..و عبثا حاول مروان و كل صاحب لسان خبيث فتح أفواههم، لقد كانت شفاههم محكمة الالتصاق..و انتشر خبر ما حدث في مدينة الصخرة كالشرر في المدن المجاورة و في كل مكان، فتوافد الزائرون من جديد على مدينة الصخرة، لكن هذه المرة ليس لزيارة أبنيتها وجسورها، بل لرؤية أصحاب "الشفاه الملتصقة" كما أصبح يُدعى كلّ من لحقته دعوة الشيخ المستجابة..و بعودة السيّاح و الغرباء..ازدهرت مدينة الصخرة من جديد..لكن السكان تعلّموا الدرس هذه المرة، فلم يدعوا فرصة للطمع كي يتوغلّ إلى قلوبهم و عادوا إلى طبعهم الأصيل من حسن الخلق..و بدأت ظاهرة الشفاه الملتصقة تختفي شيئا فشيئا عن المدينة، ذلك أنّه كلما ندم أحد من أولئك المعاقبين على ما بدر منه..انفتحت شفتاه تلقائيا و عاد إلى الكلام من جديد، لأنّ الله سبحانه تواب رحيم.)(17)

و في نهاية كل قصة من هذه السلسلة، نورد حديثا للنبي صلى الله عليه و سلم له علاقة بالموضوع المعالج في القصة حيث كان الحديث الخاص ب"الشفاه الملتصقة" قوله صلى الله عليه و سلم:" ليس المسلم بالطّعان و لا باللّعان و لا الفاحش و لا البذيء".

القصة الموالية هي قصة" مدينة المفسدين" التي اشتهر أهلها بالتسيّب و الفوضى، و يظلّ الحال كذلك، إلى أن يقدم آخر وال إلى المدينة وعبثا يحاول حث السكان على احترام المدينة بانتهاج النظام و نشر النظافة، فيشير عليه ابنه الفطن عبد المؤمن بفكرة وهي نشر إعلان للجميع فحواه(أنّ كل من لا يحترم نظافة الأماكن العامّة والخاصة..سيغرم مبلغا ماليا كبيرا. سخر السكان من ذلك الإعلان، و لم يتخذوه موطن الجدّ، و قالوا:

- كيف سيُغرّمنا و هو لا يرانا حين نُفسدُ؟

لكنّ الأمر الذي كان يجهله أولئك المغفلون هو أنّ الوالي أمر بوضع آلات تصوير للمراقبة في كلّ الأماكن..و هكذا أصبح كلّ مفسد في المدينة لا يحترم النظافة و النظام يتعرض لدفع غرامة باهظة..و ليس ذلك فحسب، بل

إنّ الأطفال المشاغبين لم ينجوا أيضا من عقوبة الوالي، فكلما شوّه طفل جدارا بالطباشير أو الطلاء، أو ألقى قشور البرتقال ..و أوراق الحلوى أرضا..عاقبه الوالي بتحميله مشقة التنظيف يوما كاملا؛ و ذلك بمساعدة عمال النظافة في نشاطهم..و لأن معظم أبناء المدينة لا يلتزمون بآداب المحافظة على المحيط، فلقد فاق عدد المعاقبين منهم عدد العمال أنفسهم.

لكن عقاب الوالي كان رحمة و أثمر خيرا للمدينة و أهلها؛ فالأطفال أدركوا منافع النظافة و النظام بعدما بذلوه من جهود كبيرة في إزالة الأوساخ و رفع القاذورات المنتشرة في كل مكان، و بمساعدتهم في صبغ جدران المدينة بطلاء زاه و جميل.)(18)، و ينتهي كل فرد في المدينة بانتهاج النظام، فتستعيد المدينة جمالها و(العجيب في الأمر أن سكان مدينة المفسدين بعد تعودّهم على النظام و السلوك المتحضر، أصبحوا يثورون في وجه كل زائر لا يحافظ على نظافة مدينتهم.)(19)، كما أصروا أن يجعلوا للمدينة اسما جديدا، وهو(..مدينة عبد المؤمن، إكراما للفتى الذكيّ الذي كان سببا في نجاة المدينة من شبح الفوضى و الأوساخ، و انتشار الأوبئة و الأمراض)(20)، و كالمعتاد في قصص سلسلة "أوصاني رسولي" تحمل الصفحة الأخيرة للقصة أحاديث النبي صلى الله عليه التي تتعلق بالموضوع و منها قوله" أمط الأذى عن الطريق فهو لك صدقة" ما يبرز القيمة العقائدية و السلوكية و الأخلاقية لهذه السلسلة القصصية.

النموذج الموالي من نوع خاص، إذ يتحدث عن حياة بعض شهداء الجزائر في قالب قصصيّ أدبيّ، و في عجالة أشرح مناسبة الكتابة عن هؤلاء الأبطال، حينما تمّ تكليفي و مجموعة من الكتاب** حَبكَ قصص أدبية انطلاقا من معلومات تاريخية حول حياة شهداء ثورة التحرير المظفرة، لتقديمها للنشء، قدوة و عبرة و دروسا،و رسائل قيمة تدور في فلك الشجاعة و نكران الذات والتضحية من أجل القضية المقدسة و هي الذود عن العقيدة و الوطن بالنفس و النفيس..فكتبت عن الشهداء، و أسوق مقطعا من حياة أول شهيد ألفت عنه و هو السبتي بومعراف الذي كان المسْئولِ العَسكرِيّ الأوّلِ للْفَيْلَقِ الثالِث بالشرق الجزائري:

(كانتْ ساحَةُ المعْرَكَةِ تُدَوِّي بأصْواتِ الرَصّاصِ المتَطايِرِ منْ كلِّ صَوْبٍ، و بقاذِفاتِ مِدْفعِيَةِ الميْدانِ الثَّقيلَةِ و مُحرِّكاتِ الطائراتِ الحرْبِيَةِ التي تَقْذِفُ بين الفَيْنَةِ و الأُخرى، شُواظًا من نَارٍ يَنْهالُ على المجاهدينَ الذينَ اسْتَماتُوا في المقاوَمَةِ، رغْمَ الفَرْقِ الواضِحِ بينَ عَدَدِ العَدُوِّ الفِرَنْسِيِّ وعَتادِهِ و تِلكَ الكَتيبَةِ الجَزائريَّةِ الصّغيرةِ من كَتائِبِ الفَيْلَقِ الثالثِ الميْدانِيِّ، التي وَجَدَتْ نفْسَها مُحاصَرَةً بعدَ أنْ طَوَقَّتْ قُوّاتُ العدُّوِ بقِيادَةِ الجنرال "شالْ"، كُلَّ المكانِ في مُنْتَصَفِ ذلِكَ اليَومِ، العاشِرِ من شهرِ فِبْرايَر1958م، بِمنْطِقَةِ "كافْ جْبَل"، دائِرة بوشقوف، بولاية قالمة.

كانتِ المعْرَكةُ قد بدَأَتْ صَباحَ اليَومِ السّابِقِ و اسْتَمرَّتْ حتى حُلولِ الظلاّمِ، ..و أُبْلِيَ المجاهِدونَ بَلاءً حَسَنا؛ حيْثُ واجَهُوا قُواتِ العدُّوِ المتَفَوِقةِ ، بقُوّةِ إيمانٍ فولاذِيَةٍ و عَزيمةٍ تُناطِحُ عبابَ السماءِ، إلى غايَةِ مُنْتَصَفِ النَهارِ، عنْدما أصابَتْ شَظِيَّةُ قَذيفَةِ مِدْفَعٍ حَرْبِيٍّ القائدَ " السّبتي بومعرافّ"...

شَعَرَ "السّبْتي" بِهَزَّةٍ عَنيفَةٍ اِرْتَجَّ لها كُلُّ كِيانِهِ حينَ اخْتَرَقَتِ الشَظِيَّةُ القاتِلَةُ جَسَدَهُ الطّاهِرَ، و انْتابَهُ ضُعْفٌ كبيرٌ تَسلَّلَ إلى كلِّ أعْضائِهِ، و تَساءَلَ في اسْتِغرابٍ و هو يَهْوي أرضًا:"لماذا لا أشعُرُ بالأ لم؟ لِمَ لا أشعُرُ إلاّ بضُعفِ كبيرٍ؟ ".. و أغْمَضَ عَيْنَيهِ، في حينِ ارْتَسَمتْ على مُحَيّاهُ الرُّجولِيِّ—الذي لم يَفْقِدْ شَيْئًا منْ عَزيمَتِهِ في تِلْكَ اللَّحظاتِ المؤْلِمةِ–، ابْتِسامَةٌ خَفيفَةٌ؛ لقدْ سَطعَ نورٌ في قَلْبِهِ جَعَلَهُ يفْهَمُ حَقيقَةَ و رَوْعَةَ ما يَجْري..! فحدَّثَ نَفْسَهُ مُنْتَشِيًا و قد غَمَرَ قَلْبَهُ شُعورٌ فَريدٌ من نَوْعِهِ منَ السَّعادةِ و الطُّمَأْنينَةِ:

–" نعمْ، لقد فَهِمْتُ، فَهِمْتُ لِمَ لا أتَأ لَّمُ..! صَدَقَ رسولُ اللَهِ صلى الله عليه وسلّمَ! !فهِيَ بُشْراهُ للشَهيدِ :"ما يَجِدُ الشَّهيدُ من مَسِّ القَتْلِ إلاّ كما يَجِدُ أحَدُكُمْ من مَسِّ القَرْصَةِ "..، الحَمدُ للهِ، فُزْتُ بِشَرَفِ الشَهادَةِ !"..

و في تِلكَ اللُّحظاتِ التي تَعانَقَتْ فيها دُنْياهُ بِآخِرَتِهِ، مَرَّ أمامَ عَيْنَيْ البَطَلِ الجزائِرِيِّ شَريطُ حَياتِهِ؛ حَياةٌ حافِلَةٌ بالعَطَاءِ و البَذْلِ والتَّضْحِيَةِ..)(21)،وتتابع أحداث القصة تروي محطات حياة الشهيد المختلفة، بكل ما تحمله من مآثر و بطولات و تضحيات..

النموذج الثاني يخص الشهيد عثمان مدور من مواليد ضواحي مدينة قالمة، الذي كان قائدا مغوارا دوّخ فرنسا و جندها، حيث تبدأ قصة حياته تقول:

(كانَ الفَصْلُ صَيْفًا، لكِنَّ شمسَ الفاتِحِ من شهرِ جويلية 1960 اِنْطَمَسَ نورُها و غُيِّبَتْ في قُلوبِ أهالي مدينةِ قالمة، لأنَّ الجميعَ خَرجَ يَنْظُرُ بِحُزنٍ و أسَى مُرورَ المؤْكِبِ الرَّهيبِ؛ سيارةٌ عسْكَرِيَةٌ للاِحْتِلالِ الفِرنْسِيِّ و على مَتْنِها جُثَّةُ الشَهيدِ الأُسْطورَةِ "عُثمانْ مَدورْ.. لقدْ عَمَدَ العَدُوُّ أنْ يَجُوبَ شَوارِعَ المدينةِ بِذلِكَ المؤْكِبِ لإنْزالِ الخَوفِ و الرُّعْبِ في نُفوسِ المواطِنينَ، بعدَ أنْ قَضَى على ابنِ قالمة و بَطَلِها المِغْوارِ..

كانتْ زهْراءُ–بنتُ الثانيةَ عشْرةَ عام– تُطِلُّ منْ شُرْفَةِ مَنْزِلِها، و ما أنْ وقَعَ بَصَرُها على جُثَّةِ الشَهيدِ حتى ارْتَفَعَ صَوْتُها بِزَغْرودَةٍ جَزائِرِيَّةٍ مُدَوِيَّةٍ ما لَبِثَتْ أنْ تَبِعَتْها زَغاريدٌ انْطَلَقتْ منَ البُيوتِ المجاوِرَةِ، فاخْتَلَطَتْ زَغاريدُ نِساءٍ و بناتٍ قالمة، بِتَكْبيراتِ الرِجالِ و هُتافاتِهِمْ:" اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ، لا إلهَ إلاّ اللهَ، الشَهيدُ حبيبُ اللهِ!".

أدْرَكَ العَدُوُّ الفِرنْسِيُّ أنَّهُ عَبَثًا يُحاوِلُ تَخْويفَ الأهالي بِمِثْلِ تِلكَ الأساليبِ الاسْتفْزازِيَةِ واللاإِنْسانِيَةِ، فأسْرَعَتِ السيارَةُ العسْكرِيةُ المحَمّلَةُ بالشَهيدِ بالابْتِعادِ، بعدَ أنْ ودَّعَهُ أبْناءُ وطنِهِ من أهالي قالمة بِطَريقَتِهِم الخاصّةِ..لاؤ

باتَتِ البِنْتُ الشُجاعَةُ ليْلَتَها و فِكْرُها مَشْدودٌ إلى الشهيدِ البَطلِ، و شَعرتْ أنَّ زَغْرودةَ العِزَّةِ و الشُموخِ التي أطْلَقَتْها نَسَجَتْ خَيْطًا خَفِيًا بينَهما؛ خَيْطٌ لاحَقَها و تَسَلَلَ إلى عالَمِ أحْلامِها و رُؤاها، فَرَأتْهُ في نَومِها حَيٌّ يُرْزقُ! رَأتْ عُثمانَ مَدورْ يُكلِّمُها و يَقولُ لها:

–" لكمْ أسْعَدَتْني زَغْرودَتَكِ، شُكرا على هَديَّتِكِ العَطِرَةِ يا زهراءُ.."

فسألتهُ مُنْدَهِشَةً:" أحقًّا سَمِعْتَها؟! "

ردَّ عُثمانُ مُبْتَسِما:" أنا شَهيدٌ و الحمْدُ للهِ و الشُهداءُ أحياءٌ، ألا تَحْفَظي قوْلَهُ تعالى{ و لا تَحْسَبَنَ الذينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ أمْواتٌ بلْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ...}

قالت زهْراءُ:" هَنيئًا فَوزُك بالشَهادَةِ..أنا مُتأكِدةٌ أنَّ مَآثِرَكَ عَظيمَةٌ وحياتَكَ الثَّوْرِيَةَ مليئَةٌ بالبُطولاتِ، حَدِّثْني عَنها يا سَيِّدي..") (22)و تتواصل القصة بأن تتعرف زهراء الصغيرة على مآثر و بطولات الشهيد إلى أن تصل لحظة فوزه بالشهادة المقدسة..

وبعد، إنّ الملاحظ حول الكتابة عن أبطال الثورة و شهدائها، هو قلّة المساحة المتاحة للخيال، و تشابه السير الذاتية للكثير منهم، فينتج عن ذلك بعض العناء و المشقة، في حبك القصص المتحدثة عن مآثرهم، لكن كل ذلك يتوارى بالتأكيد أمام قدسية المهمة و جلالها..

النموذج الأخير في هذه المداخلة يتعلق بقصة " ابن القبيلة" التي تمّت ترجمتها من اللغة العربية، إلى اللغة الفرنسية تحت عنوانLe Fils Du Clan

و حول ظروف تأليف هذه القصة، فإن لها علاقة مباشرة بالأحداث المأساوية التي مرّت بها الجزائر" العشرية السوداء"؛ حيث أنني كتبت القصة بالتعاون مع صديقة و طبيبة مُختصّة في علم النفس، تتعامل مباشرة مع شريحة

منكوبة من أبناء المجتمع، فأكدت لي على شعور مشترك بين الأطفال، وهو رفضهم للمجتمع و رغبة الانتقام و مشاعر العدوانية التي تسيطر على الأغلبية لفقدانهم ذويهم و أحبائهم في ظروف وحشية و غير طبيعية.. و شجعتني على تسليط الأضواء و معالجة هذا الأمر في عمل أدبي..و حول داعي الترجمة، فقد تمّ لي المشاركة بالقصة إثر فعاليات " عام الجزائر بفرنسا 2002حيث طُبعت القصةُ و نُشرت باللغة الفرنسية تحت عنوان Le Fils Du Clan

بطل القصة هو "عامر" فتى مسالم من العصور البدائية، يُعرف بالشجاعة و الوداعة و الرحمة، قبل أن يجتاح وحش قبيلته و بفتك بوالديه ... فينقلب الفتى بدوره إلى وحش لا تهمّه إلا فكرة الانتقام، فينعزل عن القبيلة و لا يشاركها أعمالها... و تتفاقم أحداث القصة بأن يعود الفتى إلى صوابه بعد أن يكاد يفقد جده حاكم القبيلة . من جراء قسوته و سوء معاملته له... فتقيم القبيلة لأجل ذلك حفلا كبيرا تكريما لعامر... و يجري في آخر القصة حوار بالغ الدلالة بين الجدّ و حفيده، حوار يعدُ خلاصة لهذه القصة التي جاءت لترسخ لدى الطفل فكرة مهمة؛ و هي أنّ الخير هو الطابع الأصلي في الإنسان، و أن التنكر له هو خروج عن الطبيعة الإنسانية و خيانة لمعناها .. ومما جا في هذا الحوار

(أقام القوم حفلا كبيرا تكريما لابن القبيلة عامر، فرقص الجميع على وقع ضربات طبول سريعة وأكلوا كفايتهم وزيادة، وهم يحسّون أن أيام الشقاء قد ولّت إلى حين؛ ما دام حاكمهم تعافى واسترجع قواه، وعادت الابتسامة إلى وجهه الهزيل، واستمرّ الحفل إلى وقت متأخر من الليل، قصد بعده القوم أكواخهم، للظفر بقليل من الراحة. فعمّ المكان سكون لم تتخلله إلا أصوات بعيدة لحيوانات الليل المفترسة، وحركات خفيفة لحراس القبيلة. فنام الجميع، إلا ابن القبيلة الذي أتجه في صمت نحو كوخ جدّه. وما أن اقترب حتى ارتفع صوت الحاكم قائلا:

-« ادخل يا عامر، كنت في انتظارك...».

دخل الفتى فوجد جدّه جالسا يبتسم إليه في حنان، نظر الاثنان إلى بعضهما البعض لحظات، دون أن ينبس أحدهما ببنت شافة. ثم رفع الحاكم يده ببطء مشيرا إلى حفيده بالجلوس. امتثل عامر فقعد، فسأله جدّه بهدوء:

-«أما زلت مصّرا على الانتقام من الوحش؟»...اعتلت وجه الفتى مسحة من الحزن؛ لتذّكره ظروف وفاة والديه، وردّ بصوت خافت:

-«لا لقد تخليت عن فكرة الانتقام»... فسأله الحاكم مجدّدا:

-«لماذا تخليت عنها يا ولدي؟»... ردّ عامر:

-«أدركت أنّني سأخسر أكثر مما سأكسب لو تماديت في رغبتي في الانتقام»... قال الحاكم:

-«وماذا كنت ستخسر؟»... شرد الفتى ببصره إلى بعيد، قبل أن يرد بيقين:

-«كنت سأخسر قومي وقبيلتي وسبب وجودي...»، ومدّ يده ليضم يد جدّه بحنان قبل أن يتواصل قائلا: «...كنت سأفقدك يا جدّي الحبيب، وأكثر من ذلك كله: كنت سأضيع نفسي ! لقد تعذبت عذابا فظيعا جاوز ألمي لفقدان والديّ، حينما تنكّرت لأصلي وفسحت المجال لإحساس الانتقام كي يقود حياتي، فأصبحت عبدا أسيرا له، أرتكب أبشع الحماقات تحت تأثيره، فلم أخلّف ورائي سوى الحزن والأسى !»... وصمت الفتى لحظات قبل أن يتابع بصعوبة ويأس:

-«إنّ إسرا كانت على حقّ حين شبهتني بالوحش الذي فتك بوالديّ. فأنا في رغبتي للنّيل منه انسلخت عن جوهر ذاتي وتحوّلت إلى شخص آخر لم يعد يسكنه من الداخل سوى أحاسيس النقمة والغضب!».

عندها قام الحاكم صخر من مكانه واتجه خارجا. تبعه عامر ومشى الاثنان ببطء لحظات، قبل يتوقف العجوز وينظر إلى حفيده نظرة حملت كلّ حبّ الدنيا، قائلا له بفخر:

-« عامر يا ولدي، أنت اليوم بحقّ ابن القبيلة، هذه القبيلة! لقد أدركت أنّ أكبر عدوّ لك ليس هو الوحش الذي دمّر حياتك، ولكن عدوّك الحقيقي هو رغبة الانتقام التي قتلت فيك كلّ إحساس رحمة وطيبة، وزرعت في كيانك القسوة واللامبالاة بمصير الآخرين... لقد فهمت هذا يا ولدي الحبيب، فهمته قبل فوات الأوان!».

قال الحاكم تلك الكلمات ذارفا دموع الفرحة والارتياح. فشدّ عامرّ يده الهزيلة بكلّ قوة حبّه له، وقال له بثقة وعزم:

-«أجل يا جدّي الحبيب، لقد وعيت ذلك ولن أنساه ما حييت!».

وتابع الحفيد والجدّ سيرهما البطيء بين الأكواخ النائمة، تحت ضوء قمر بديع، أنار وجهيهما الآملين في غد أرحم وأرحب؛ ما دامت غيوم الشقاق قد تبدّدت دون رجعة وإلى الأبد.(24)

و لأنّ القصة طبعت نسختها المترجمة، أضع بين يدي القارئ الكريم، الترجمة الفرنسية لهذا المقطع الأخير من القصة:

- Entre Amer, je t'attendais …

Le garçon entra dans la hutte, son regard s'attacha à celui de son grand-père, qui lui souriait de nouveau. Il lui fit signe de s'asseoir et lui demanda doucement :

- Es-tu toujours décidé à te venger de la bête qui a tué tes parents ?
- Non je ne le veux plus…répondit le garçon d'une voix basse et triste, le visage rembruni à l'évocation de ses chers parents disparus.
- Pourquoi ne veux-tu plus te venger ?...demanda à nouveau le chef.
- J'ai compris que j'aurais perdu plus que je n'aurais gagné si j'avais réalisé mon désire de vengeance…
- Et qu'aurais-tu perdu ?

Amer resta silencieux un instant avant de dire :

- Mon peuple, mon clan…et serrant très fort la main du vieil homme, il continua :
- ….Je t'aurais perdu grand-père, comme je me serais perdu moi-même ! Le fait d'avoir laissé le désir de vengeance guider ma vie, m'a fait énormément souffrir. J'ai commis les pires horreurs sous son influence. Isra avait raison de me comparer à la bête qui a tué les miens. Car je me suis transformé en un être que n'habitait plus que haine et colère.

Se levant, le chef Sakr se dirigea hors de la hutte. Amer le suivit. Ils marchèrent lentement un moment, quand le vieil homme s'arrêta, le visage inondé de larmes et dit d'une voix vibrante d'amour et de fierté :

- Cher enfant, aujourd'hui tu as vraiment prouvé que tu es mon petit-fils, comme tu es le fils de ce clan, notre clan ! tu as réalisé que ton plus grand ennemi n'était pas la bête qui a décimé tes parents, mais ta soif de vengeance qui t'as transformé en un être dur, insensible aux malheurs des autres. Tu as enfin compris mon fils, qu'on ne guérit jamais le mal par le mal !

Emu jusqu'aux larmes, Amer serra très fort la main rugueuse de son grand-père, lui affirmant sur un ton résolu :

- Oui, j'ai compris grand-père. Je te promets que jamais plus je n'oublierai ce que j'ai appris !

Le grand-père et le petit-fils poursuivirent leur marche entre les huttes endormies. Leurs visages qu'éclairait un grand clair de lune, n'aspiraient qu'à des lendemains sereins et heureux. Les lourds nuages de la discorde ayant disparu et à jamais.(24)

و بعد، كانت هذه جولة بين بعض من مؤلفاتي للطفل الجزائريّ خصوصا و الطفل العربي على وجه العموم، و الحقيقة أنّ العمل الإبداعي للأطفال عمل فيه متعة و إثارة..بيد أن هكذا عمل في الجزائر يحمل من "المشقة و المنغصات"، ما ينجر عنه عزوف كثير من الأقلام الموهوبة عن هذا الميدان – و كم نحن بحاجة إليها–، لتحلّ محلها فئة لا صلة لها بعالم الطفولة و احتياجاته، فتكتب بلا وعي و لا حسّ فنيّ أو إبداعي رغم ذلك تجد

" أعمالها " طريقا للطباعة و النشر من قبل بعض دور النشر التي لا تتحمل مسؤولية تشكيل لجنة قراءة تمحض هكذا أعمال و تغربلها قبل أن تخرجها للنشىء، مثل ذلك سلسلة " قصص جزائرية" الكارثية ل "فاطمة لمثلث" الموجهة للأطفال و التي يكتشف كل من قرأها أن المؤلفة "شبه أمية" ليست لها أدنى صلة بقواعد اللغة العربية السليمة، ناهيك عن الارتقاء إلى مستوى الإبداع في مجال الكتابة القصصية للطفل، ولقد أصدرت تسع عناوين لحدّ الآن بكل ما تحمله قصصها من أخطاء على كل الأصعدة***

فالكتابة للطفل في الجزائر تعاني من خلل فادح من حيث تراجع أهل الاختصاص و بروز فئة "كتاب" لا صلة لهم بالميدان، كما أنّها تعاني من غياب عملية نقد جادة، منظمة و مواكبة لكل ما يكتب للطفل الجزائري؛تغربل الأعمال الجادة و تثمنها و تطرح الغثّ منها، من باب استشعار المسؤولية الكبيرة ، مسؤولية بناء فكر الطفل الجزائري و تشكيل شخصيته المستقبلية من خلال ما يقرأ.

الهوامش:

(1)القصص و حكايات الطفولة- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي-ص37- مركز الاسكندرية للكتاب-

2004

(2) انظر قصص الأطفال، فنونها و روادها-د. محمد حسن عبد الله- ص3- العربي للنشر و التوزيع- القاهرة- مصر-1992

(3) أدب الأطفال-د. سمير عبد الوهاب أحمد- ص194- دار المسيرة للنشر و التوزيع- ط2- عمان- 2011

*هناك من الباحثين من يضيف مرحلة رابعة من 13إلى 16/15 عام ،كما أن هناك اختلاف بين المختصين حول تحديد المراحل العمرية للطفل خاصة عند علماء النفس.

(4) انظر قصص الأطفال، فنونها و روادها-د. محمد حسن عبد الله- ص17- العربي للنشر و التوزيع- القاهرة- مصر-1992

(5)انظر، أدب الأطفال، مدخل نفسي اجتماعي- د. محسن محمد حسن حلاوة- ص91- المكتبة المصرية للنشر و التوزيع- الاسكندرية- مصر-1999

(6)نظر: قصص الأطفال، فنونها و روادها– مرجع سابق- ص5 .

(7)المحفظة الخضراء- لطيفة عثماني- ص5-دار اليمن للنشر و التوزيع-قسنطينة- الجزائر- 2002

(8) السابق- ص10

(9)الأقلام ترقص- لطيفة عثماني- ص10-دار اليمن للنشر و التوزيع-قسنطينة- الجزائر- 2002

(10) الماء الصامت-لطيفة عثماني- ص2-دار اليمن للنشر و التوزيع-قسنطينة- الجزائر- 2003

(11) السابق- ص12

(12) السحابة الرحيمة- لطيفة عثماني- ص8-دار اليمن للنشر و التوزيع-قسنطينة- الجزائر- 2003

(13) السابق- ص14

(14)انظر كل من :قصص الأطفال-مرجع سابق-ص21-او: الطفل و أدب الأطفال- د.هدى قناوي- ص161- مكتبة - 2009الأنجلوالمصرية-القاهرة- مصر

(15)الشفاه الملتصقة- لطيفة عثماني- ص5 - دار اليمنللنشر و التوزيع-قسنطينة- الجزائر- 2003

(16السابق – ص 15

(17) السابق – ص20

(18) قصة مدينة المفسدين-لطيفة عثماني- ص13 - دار اليمنللنشر و التوزيع-قسنطينة- الجزائر- 2003

(19)السابق- ص19

(20) السابق – ص20

**تم لي شرف الكتابة عن شهداء الثورة المظفرة، بعدما اتصل بي متحف الشهيد و كلفني التعامل معه، مع مجموعة من الكتاب كي نؤلف و نحكي عن حياة الشهداء في إطار مشروع تعريف النشىء الجزائري بمآثر أبطال الجزائر الذين قضوا في الثورة.

(21) الشهيد البطل السبتي بومعراف- مخطوط

(22) الضهيد البطل عثمان مدور- مخطوط

(23) ابن القبيلة– مخطوط

(24)Le Fils Du Clan –Latifa Atmani -P34-MediaSud Edition &Difusion- Constantine

*** من عناوين " القصص الكارثية" لفاطمة المثلث المنشورة: درويش في القرية، بنت الغابة،عبلة و الجدة، دهشة القروي..